جامعـــة عين شمس

كلية التربية

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

مظاهر الترابط النصي في تفسير النيسابوري (٧٢٩ هـ) المسمى بـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراة في اللغة العربية

تخصص (نحو وصرف)

تحت إشراف

أ . د/ أحمد محمد عبد العزيز كشك

أستاذ النحو والصرف والعروض المتفرغ بكلية دار العلوم

جامعة القاهرة

أ. د/ طارق محمد عبد العزيز النجار

أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية التربية

جامعة عين شمس

إعداد الباحث

سيد شوقي السيد

٢٠١٥

مستخلص الرسالة

عنوان الرسالة : مظاهر الترابط النصي في تفسير النيسابوري (٧٢٨هـ) المسمى بـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان)

اسم الباحث : سيد شوقي السيد عبد الفتاح .

جهة البحث : كلية التربية – جامعة عين شمس

تهتم هذه الرسالة بالبحث والتنقيب عن الوسائل والآليات التي استطاع النيسابوري من خلالها إثبات أن القرآن الكريم نص متكامل ، تترابط فيه آياته وسوره على المستويين النحوي (الشكلي) والدلالي (المعنوي) ، وليس الهدف من هذه الدراسة هو تطبيق أصول النظرية النصية الحديثة على نص القرآن الكريم ، وإنما هي دراسة تأصيلية تُعنَى بإبراز جهود علمائنا القدامى وخاصة النيسابوري في مجال التماسك النصي أو فيما عرف حديثا بنحو النص .

وقد اعتمدت على بيان جهود النيسابوري في مجالي (**السبك والحبك**) أما السبك والذي يعنى بمظاهر الترابط النحوي فقد تناولت فيه (الإحالة بالضمائر وأسماء الإشارة والاسم الموصول و(ال) التي للعهد الذكري أو للجنس النسبي) و (الحذف) و(الاستبدال) والربط النحوي بالأداة . وكذلك مظاهر الربط المعجمي وهي (التكرار) و (المصاحبة المعجمية) ، وتبين أن النيسابوري يطلق على السبك مصطلح (النسق) .

وأما الحبك والذي يعنى بمظاهر الربط الدلالية فقد تناولت فيه مظاهر الربط بين الآيات ومظاهر الربط بين السور ، وتبين أن النيسابوري يطلق على الحبك مصطلح (النظم) .

وليس الهدف من هذه الدراسة طرح نحو الجملة جانبا ، أو الاستغناء عنه بمعطيات نحو النص الحديثة ؛ إذ أثبت البحث أن نحو الجملة هو الأساس الذي تنطلق منه أي دراسة نصية حديثة . وإنما كان الهدف منها الإسهام في تأسيس قواعد نظرية عربية حديثة لنحو النص ، تعتمد في ذلك على المزج بين أصول نظريتنا القديمة لنحو الجملة ، وبين معطيات النظرية الحديثة لنحو النص .

وهذا الهدف يحتاج إلى العكوف على قراءة كثير من كتب التراث في مجال النحو والتفسير والبلاغة ، واستخراج تلك النظرات واللمحات النصية التي أشار إليها علماؤنا القدامى ، والتي فاقت في كثير من الأحيان ما توصل إليه علماء الغرب المحدثون من

قواعد وأصول ، غاية ما في الأمر أنها لم تصل إلى حد نظرية متكاملة الأطراف والأركان ، وهذا هو ما أثبتته صفحات البحث .

المقدمة

بسم الله الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ، أما بعد :

فما إن ظهر هذا الاتجاه الحديث في تناول النصوص - والذي يرى ضرورة النظر في البنية الكلية للنص وتحليلها وبيان علاقاتها ، دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النحو القديم - حتى راح فريق من الباحثين يكرس جهوده في إرساء قواعد هذا العلم بالترجمة تارة وبالتأليف - اعتمادا على ما ترجم - تارة أخرى ، وراح فريق ثان يطبق هذه القواعد والمعايير الجديدة على نصوص من الشعر والنثر العربي منبهرا بهذه المعايير الجديدة مثبتا أن هذه النصوص قد تحققت بها صفة (النصية) التي قال بها علماء النص المحدثون ، وراح فريق ثالث من الباحثين يوجهون نظراتهم إلى التراث العربي القديم ينقبون فيه عن تلك الإشارات واللمحات النصية التي تثبت ريادة العرب الأوائل في هذا المجال ، وأن غاية ما في الأمر أن هذه الإشارات المتفرقة - على كثرتها - لم ترق إلى حدّ نظرية متكاملة الأطراف والأركان .

لذا رأى الباحث أن أوْلى هذه الاتجاهات بالبحث في هذه الآونة - بعد اكتمال التنظير لهذا العلم النصي الحديث - هو الاتجاه الذي يعمد إلى الكشف عن جهود علمائنا القدماء في هذا الميدان ، وخاصة علماء التفسير والبلاغة حيث كان ارتباطهم وثيقا بـ (نص) القرآن الكريم ، ذلك النص المعجز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

وهذا العمل ليس إثباتا لنصية القرآن ، فما كان القرآن ليخضع لتلك المعايير المستحدثة حتى يتبين للناظر ترابط ألفاظه وعباراته أو تماسك سوره وآياته ، وإنما الهدف من ذلك جمع تلك اللمحات النصية المتناثرة والتي تثبت مدى وعي القدامى بمفهوم كلية النص ، وأنه كان لهم قدم السبق في هذا المضمار ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى المساهمة في تأسيس نظرية لغوية عربية في نحو النص اعتمادا على تلك الجهود القديمة .

وقد رأيت أن يكون هذا البحث في تفسيرٍ هو أقرب إلى نحو النص منه إلى نحو الجملة فكان الاختيار واقعا على تفسير النيسابوري ، وكان عنوان البحث : **مظاهر الترابط النصي في**

تفسير النيسابوري(٧٢٩هـ) المسمى بـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) [١] ، وأقصد بالترابط النصي : مظاهر الربط النحوية (السبك) ، ومظاهر الربط الدلالية (الحبك) كليهما ، وإن كان بعض الباحثين قد اعتاد تسمية هذا النوع من الأبحاث بـ (التماسك النصي) فإن كليهما يعبران عن مدلول واحد ، ولا خلاف بينهما ، إذ لا مشاحة في الاصطلاح .

أسباب اختيار الموضوع :

- أسباب خاصة بنحو النص :

١- حاجة الدراسات العربية في نحو النص إلى مثل هذه الدراسات التأصيلية في تراثنا العربي القديم ، وكشف النقاب عن جهود علمائنا الأوائل في هذا الميدان .

٢- العودة بالنحو العربي إلى مكانته القديمة ، ووظيفته الأولى ؛ حيث ارتبطت نشأته بنص القرآن الكريم مبينا أغراضه ومراميه ، فكانت هذه الدراسة - من خلال هذا التفسير - لبيان أن النحو العربي لم يكن بعيدا عن كلية النص ، وإنما غلبت عليه النظرة الجزئية للجملة الواحدة نظرا لأهداف تعليمية طارئة .

- أسباب خاصة بتفسير النيسابوري :

فقد تميز تفسير النيسابوري بميزات نصية لم تتوفر في غيره من التفاسير ، حيث أشار مؤلفه في مقدمة تفسيره إلى أنه اهتم بـ :

- أسباب النزول وما تهدف إليه من أسرار وأحكام (وهي تفيد بلا شك في معرفة السياق المحيط بالآية أو النص القرآني) .
- علامات الوقف وتفسيرها وبيان مواضعها التي ينبغي للعلماء والفقهاء والقراء أن يتقنوها (وهي لا شك تفيد في ضبط البنية الخارجية للنص ، وتقسيم ظاهره إلى مجموعات من الجمل المتناسقة غير متباعدة الأطراف).
- الحكمة من التكرار والمتشابهات في الآيات (والتكرارمن أهم عناصر السبك المعجمي عند النصيين ، وقد تناولوه بالدراسة التفصيلية) .
- الربط بين الآيات والسور(وهو ما يعرف بعلم المناسبة) فبين علاقة كل آية بما تسبقها وما تليها ، وعلاقة خاتمة السورة بأولها ، والربط بين مختلف الآيات داخل النص ، وغير ذلك من المناسبات التي يزخر بها هذا التفسير .

أهداف الدراسة :

---

(١) يقع كتاب (**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) في أحدَ عشرَ مجلدًا وهو من منشورات المكتبة القيمة - القاهرة بتحقيق الدكتور / حمزة النشرتي والشيخ عبد الحفيظ فرغلي والدكتور عبد الحميد مصطفى .

١- الكشف عن أصالة مفاهيم نحو النص الحديثة عند مفسرينا ومنهم النيسابوري ، فهو وإن لم يصرح في كثير من الأحيان بالمصطلحات الحديثة إلا أنه استخدم مدلولاتها استخداما عمليا مما يكشف عن فهمه الواعي لمعنى الترابط النصي على مستوييه (الشكلي والدلالي) .

٢- الكشف عن الوسائل والطرائق النحوية والدلالية التي استطاع النيسابوري من خلالها أن

يربط بين الآيات والسور حتى تصبح نصا مترابطًا متكاملاً ، ولا شك أن هذه الطرائق والوسائل تختلف من عالم إلى آخر .

٣ - الإسهام - من خلال الوسائل التي استخدمها النيسابوري للربط بين الجمل والآيات ربطا نحويا ودلاليا - في وضع أسس نظرية لغوية عربية تستمد معطياتها من خلال المزج بين منجزات تراثنا العربي وبين النظرية اللسانية الغربية بمناهجها المتعددة ، وهذا - على حد تعبير الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف - يحتاج منا إلى جهد كبير وعمل متكرر من خلال النصوص العربية حتى تستوي هذه النظرية المنشودة .[٢]

٤- البحث عن العلاقة بين نحو النص ونحو الجملة ومدى التكامل بينهما ، وهل كان نحو الجملة في معزل عما أشارت إليه الدراسات النصية الحديثة أم لا ؟ خاصة " وأنّ نحو الجملة قد اهتم في دراساته الأولى اهتمامًا كبيرًا بكثير من المحاور والأفكار المختلفة التي اهتم بها نحو النص وعلم لغة النص حديثًا ، حيث اهتم نحو الجملة بالدلالة ، كما عني بالسياق ، واهتم كذلك بالعلاقة بين كل من المتكلم والسامع ولو بشكل محدود ، كما اهتم بكثير من علاقات الوصل والفصل ، والتقديم والتأخير ، والحقيقة والمجاز ، وبعض الصور التحويلية ، وشروط الجملة وقبولها وعدم قبولها " [٣]

الدراسات السابقة :

تناولت كثير من الدراسات السابقة جهود النيسابوري في النواحي اللغوية والنحوية والتفسيرية ، ولكن عنايتها لم تكن منصبة على جهوده النصية بالمفهوم الحديث لنحو النص أو الترابط النصي ، ومن تلك الدراسات :

---

(٢) الإبداع الموازي : التحليل النصي للشعر ، ص ١٢

(٣) الربط والروابط بين نحو الجملة ونحو النص ، د / حسن محمد نور المبارك ، بحث منشور بكتاب المؤتمر الثالث (العربية بين نحو الجملة ونحو النص) ، كلية دار العلوم (القاهرة) جـ ٢ ، فبراير ٢٠٠٥ م ص ٨٥١ ، وانظر : علم لغة النص ، د / سعيد بحيري ص ١٤٢

١- رسالة ماجستير بعنوان (**تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري دراسة وتقويم**) للباحث محمد حسين الحازمى، من جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم القرآن الكريم وعلومه ١٣٩٨هـ .

٢- كتاب (**النيسابوري ومنهجه في التفسير**) للدكتور ماجد زكى الجلاد ، طبعة دار الفكر، الأردن، عمان، الطبعة الأولى١٤٢١هـ - ١٩٩١م .

٣- رسالة دكتوراه (**الدراسات النحوية في تفسير النيسابوري**) للباحث : جودة فرحان ، آداب بغداد ، ١٩٩٥ م

٤- رسالة (**النيسابوري ومنهجه في التفسير**) للباحث عمر عبد حسين الطلالقة ، جامعة صدام – العراق - ١٩٩٧م .

٥- رسالة دكتوراة بعنوان (**نظام الدين النيسابوري ومنهجه في التفسير**) للباحثة حنان بشير بجامعة الخرطوم، كلية الآداب، آداب في الدراسات الإسلامية ، ٢٠٠٢م.

٦- رسالة ماجستير بعنوان (**منهج النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) لإبراهيم محمد عظام، من الجامعة الأسمرية للعلوم الإسلامية بليبيا، كلية أصول الدين، ٢٠٠٦م.

٧- كتاب (**الجهود اللغوية في تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) بكر محمد أبو معيلي ، عمان ، دار جليس الزمان ، ٢٠١٢م

٨- رسالة ماجستير بعنوان (**القراءات القرآنية المتواترة في تفسير النيسابوري المسمى بغرائب القرآن ورغائب الفرقان**) . للباحثة / زينب أحمد محمد الشربيني . جامعة المدينة العالمية - كلية العلوم الإسلامية - ماليزيا ٢٠١٣م

٩- رسالة دكتوراه (**المباحث الدلالية في تفسير النيسابوري غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) للباحثة : سلوى حسن ، الجامعة العراقية ، ٢٠١٤ م

١٠ - (**دلالة واو الإقحام وواو الثمانية عند النيسابوري في تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان**) دراسة موازنة ، د / عادل عبد الجبار ، مجلة كلية الآداب بالكوفة ، ٢٠١٤ م

وهذا هو ما دفع الباحث إلى الكشف عن جهود هذا العالم في نحو النص ، سواء ما يتعلق فيه بالروابط النحوية (مظاهر السبك) أو الروابط الدلالية (مظاهر الحبك) وذلك رغبة في إثراء مكتبتنا العربية بتلك الجهود المثمرة .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول ، تناولت في التمهيد ثلاثة مباحث ؛ المبحث الأول : النيسابوري نشأته وحياته ، والمبحث الثاني : بينت فيه التدرج التاريخي من

نحو الجملة إلى نحو النص وأهمية هذه العلم ، والفرق بينه وبين نحو الجملة ، والمبحث الثالث : عرفت فيه بمفهوم الترابط أو التماسك النصي .

أما الفصل الأول :

فتناولت فيه مظاهر السبك النحوي عند النيسابوري وهي : (الإحالة والحذف والاستبدال والربط) ومهدت لكل مظهر من هذه المظاهر بتنظير لجهود كل من القدامى والمحدثين فيه ، ثم ختمته ببيان منهج النيسابوري وطريقته التي سار عليها في هذا المظهر .

وأما الفصل الثاني :

فأفردته لمظاهر السبك المعجمي عند النيسابوري ، فتناولت فيه التكرار وبعض مظاهره النصية عند النيسابوري ، وقسمته إلى مبحثين ؛ الأول : مظاهر التكرار التام والثاني مظاهر التكرار غير التام (أو ما يطلق عليه المتشابهات) حيث تتكرر الجملة نفسها مع تغيير في بعض أبنيتها موضحا سبب التكرار والسر وراء هذه التغييرات البنيوية .

كما تناولت مفهوم المصاحبة المعجمية وأنواعها عند النيسابوري ، وأثر كل نوع منها في سبك النص والتئام أجزائه .

وأما الفصل الثالث :

فتناولت فيه الروابط الدلالية أو (الحبك) عند النيسابوري ، والعلاقات والمعنوية بين الآيات ، أو ما يطلق عليه قديما بمصطلح المناسبة وبينت أنواعها المختلفة عن النيسابوري والتي شملت جزءا غير يسير من تفسيره .

ثم ختمت البحث **بخاتمة** بينت فيها نتائج البحث التي توصلت إليها ، وأهم التوصيات التي تفيد الباحثين في مجال نحو النص .

منهج البحث :

المنهج الذي سوف تتبعه الدراسة هو المنهج الاستقرائي القائم على :

١- **استقراء** النصوص التي أوردها النيسابوري ثم اختيار ما يتوافق منها مع الاتجاه النحوي الحديث في دراسة النصوص .

٢- ثم **تحليل** تلك النصوص تحليلا نصيا ، مع التعليق عليها بما ورد في كتب التفسير الأخرى ، أو ما ورد في كتب النحاة للوصول إلى أقرب التوجيهات إلى المنهج النصي ، وبيان دور النيسابوري في هذا التوجيه بما يدعم هذا المنهج أو يبتعد عن خطاه .

وبعد ففي نهاية هذه الرحلة الشاقة في هذا التفسير الشائق أرجو أن تكون هذه المحاولة حلقة من حلقات الدراسات الأدبية المعاصرة التي تخدم الدين أولا واللغة العربية ثانيا .

وأدعو الله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع خالصا لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ونعم النصير ، (**رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي**)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

النيسابوري ؛ نشأته وحياته

نسبه ومولده :

هو العلامة الشهير نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القُمي النيسابوري المعروف بـ :(النظام الأعرج) [٤] ، ترجع أصوله إلى مدينة (قُمّ) [٥] إلا أنه نشأ في نيسابور [٦] أفضل مدن خُراسان ، ولم تذكر لنا كتب التراجم تاريخ مولده ، شأنه في ذلك شأن كثير من العلماء الذين أغفل التاريخ ذكر سني ولادتهم .

عصره :

عاش نظام الدين النيسابوري عصرًا حافلا بالنزاعات والخلافات والبطش والفتك والعداء للمسلمين ، إذ وقع شرق إيران تحت حكم التتار ، ثم جاء هولاكو حفيد جنكيز خان حاكما على العراق سنة ٦٥٤ هـ ، وامتد حكمه هو وخلفاؤه حتى سنة ٧٤٤ هـ .

وقد شهد هذا العصر تدميرا للحضارة الإسلامية ، وكل ما صنعه التتار هو تشجيع علماء الفلك ، وبناء المراصد ، وفن العمارة ، وهو ما يحتاجون إليه في حروبهم ، أما بقية

---

(٤) انظر ترجمته في : روضات الجنات ٣ / ١٠٢ ـ ١٠٦ ، كشف الظنون ٢ / ١١٩٥ ، الأعلام للزركلي ٢ / ٢١٦ ، هدية العارفين ١ / ٢٨٣ ، بغية الوعاة ١ / ٥٢٥ ، أعيان الشيعة ٢٣ / ١١٢ ـ ١١٥ ، الكنى والألقاب ٣ / ٢٥٦ التفسير والمفسرون ١ / ٣٢١ – ٢٥٦ ، وهو يختلف عن الواحدي النيسابوري (ت٤٦٨هـ) صاحب أسباب النزول ، وله من التفاسير (الوجيز – الوسيط – البسيط) .

(٥) هي إحدى مدن خراسان ، قال عنها السمعاني صاحب الأنساب : " هي بلدة كبيرة بين أصبهان وساوة " ويقول عنها ياقوت الحموي : إنها مدينة مستحدثة إسلامية لا أثر للأعاجم فيها " (معجم البلدان ٤ / ٤٥٠)

(٦) نيسابور أكبر مدينة غرب إقليم خراسان ، استولى عليها المغول بقيادة جنكيز خان سنة ٦١٨ هـ فقتلوا كل من وقعت أعينهم عليه من كبير أو صغير ، ونهبوها وخربوا كل ما فيها حتى سويت بالأرض (معجم البلدان ٥ / ٣٣٢)

على أنه عاد وصلح أمرها بعد ذلك الغزو ، وقد خرج منها علماء وأئمة ذاعت شهرتهم مما جعلها المدينة العظيمة التي تحتل مكانة كبيرة ؛ لما لها من فضائل جمة على العلم والعلماء ، كما أنه قد خرج من هذه المدينة من أئمة العلم عدد كبير لا يحصى ، وقد ذكر السمعاني في مكانتها العلمية أن الحاكم عبد الله بن محمد بن عبد الله الحافظ جمع تاريخ علمائها في ثمانية مجلدات ضخمة (الأنساب ٥ / ٥٥٠)

أنواع العلوم فلم تحظ بعنايتهم سوى ما صنف في علم الهيئة بجانب علوم القرآن وبعض علوم العربية .

من هنا نرى أن النظام النيسابوري المتوفى في النصف الأول من القرن الثامن الهجري قد عاش حياته كلها تحت وطأة هذا الحكم الجائر ، ومع ذلك فقد قدم للمكتبة العربية مؤلفات كثيرة في التفسير وعلوم القرآن وغيرها .

مكانته العلمية :

للنيسابوري بين علماء عصره منزلة رفيعة ، يقول عنه الشيخ الذهبي : " كان رحمه الله من أساطين العلم بنيسابور ، مُلما بالعلوم العقلية ، جامعا لفنون العربية ، له القدم الراسخة في صناعة الإنشاء ، والمعرفة الوافرة بعلم التأويل والتفسير ، وهو معدود في عداد كبار الحفاظ والمقرئين ، وكان مع هذه الشهرة الواسعة على جانب كبير من الورع ، وعلى مبلغ عظيم من الزهد والتصوف ، ويظهر ذلك واضحا جليا في تفسيره الذي أورد فيه مواجيده الروحية ، وفيوضاته الربانية " [٧]

وقال عنه صاحب أعيان الشيعة : " ويظهر أنه كان ماهرا في جُل العلوم ، فهو حكيم من الحكماء ، مفسر في المفسرين ، حافظ للقرآن ، نحوي وصرفي في النحويين والصرفيين ، رياضي في الرياضيات وأهمها الحساب والهيئة ، منجم في المنجمين ، مؤلف في جميع العلوم مؤلفاتٍ مشهورة ، مشهور بذلك بين علماء عصره " [٨]

ويقول عنه صاحب روضات الجنات :

" وبالجملة فأمره في الفضل والأدب والتبحر والتحقيق وجودة القريحة أشهر من أن يذكر ، وأبين من أن يسطر ، وكان من كبار الحُفّاظ والمفسرين " [٩]

مؤلفاته :

أشار إسماعيل البغدادي في هدية العارفين [١٠] إلى مؤلفات النيسابوري ومنها : تفسيره المسمى بـ (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) ويعرف بتفسير النيسابوري . وشرح مفتاح العلوم للسكاكي .

ومن كتبه كذلك :

---

(٧) التفسير والمفسرون ١ / ٣٢١ - ٣٢٢

(٨) أعيان الشيعة ٢٣ / ١١٢

(٩) روضات الجنات ٣ / ١٠٢

(١٠) هدية العارفين ١ / ٢٨٣

- شرح (الشافية في التصريف لابن الحاجب) وهو معروف بشرح النظام ، وقد قام بتحقيقه الباحثة / ثريا مصطفى عقاب ، دكتوراه ، جامعة أم القرى ، ٢٠٠٦ م
- رسالة في معرفة سمت القبلة ، مرتبة على خمسة فصول ، وبها أشكال ورسومات .[١١]
- شرح (منتهى الوصول والأمل في علمي الأصول والجدل في علم أصول الفقه المالكي) لابن الحاجب صاحب الشافية (ت ٦٤٦ هـ)[١٢]

شيوخه وتلاميذه :

لا نجد في ترجمته إشارة إلى شيوخه سوى ما ذكر في الذريعة [١٣] ، وكذا ما ذكره صاحب أعيان الشيعة عند حديثه عن تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) أنه ألفه بإشارة من أستاذه قطب الدين مسعود الشيرازي ، وكذا عند حديثه عن كتابه (البصائر في مختصر تنقيح المناظر) ، وأنه شرحه بإشارة من أستاذه قطب الدين الشيرازي .

والأمر كذلك بالنسبة لتلاميذه ، فلا نجد حديثا عنهم سوى ما ذكره في مقدمة شرح الشافية : " وبعد ، فقد اقترحت الواردة عليّ ، والمختلفة لديّ اقتراحا امتدّ مداه ... " [١٤]

ففي هذا القول دليل على جلوس كثير من التلاميذ إليه .

وكذلك ما ذكره صاحب كشف الظنون : " أن تلاميذ النظام الأعرج قاموا بتصحيح كتابه (شرح الزيج العلائي) بعد وفاته " [١٥] ، وهي إشارة واضحة تدل على أن النيسابوري كان له تلاميذ ينتسبون إليه .

مذهبه :

أشارت بعض كتب التراجم إلى أن النيسابوري كان شيعيا ، من ذلك :

١- استدلال صاحب (روضات الجنات) على تشيعه بأن أصله مدينة (قُمّ) المشهور أهلها بالتشيع .[١٦]

٢- ما نقله صاحب روضات الجنات عن النيسابوري في كتابه شرح التذكرة ، يمدح فيه المحقق الطوسي نصير الدين محمد بن الحسن يقول :

---

(١١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤ / ٢٠٦

(١٢) تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٣٤

(١٣) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤ / ٢٠٦

(١٤) شرح الشافية ٢ ، ٣

(١٥) كشف الظنون (٢ / ٩٧٠)

(١٦) روضات الجنات (٣ / ١٠٣)

" ذكر اسم المحقق الطوسي رحمه الله في شرح تذكرته مع غاية التعظيم والتبجيل ، ووصفه بأنه الأعلم المحقق ، والفيلسوف المحقق ، أستاذ البشر ، وأعلم أهل البدو والحضر ، نصير الملة والدين محمد بن محمد بن محمد الطوسي قدس الله نفسه ، وزاد في حظائر القدس أنسه " [١٧]

ثم يقول صاحب الروضات بعد ذلك : " وظاهر أنّ أحدا من أهل السنة لا يرضى بأن يذكر رجلا من الشيعة بهذه الأوصاف ويدعو له بالخير ، ويقرر له دخول الجنة " [١٨]

٣- بدأ صاحب كتاب أعيان الشيعة حديثه عن مذهبه بقوله : " لا شك أن ظاهر حاله في كتابه عدم التشيع ، إلا أن يكون ذلك لنوع من المداراة ... ومما وقع عليه نظري في تفسيره المذكور مما يدل على ذلك (يقصد المداراة) ما ذكره في تفسير سورة الفاتحة بقوله : وكان عليّ ابن أبي طالب يقول : " يا من ذكره شرف للذاكرين " وكان مذهبه الجهر بها - أي البسملة - في جميع الصلوات ، وقد ثبت هذا منه تواترا ، ومن اقتدى به لن يضل ، قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم أدر الحق معه حيث دار " [١٩]

٤- نسبه أبو حيان إلى التشيّع ، حيث قال عند تفسير قوله تعالى : (**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**) آل عمران ١٠٣ : " وقد تعلق بهذه الآية نفاة القياس كالنظام وأمثاله من الشيعة " [٢٠]

أما بالنسبة لاستدلال صاحب روضات الجنات على تشيعه بأن أصله مدينة (قُمّ) المشهور أهلها بالتشيع فإن هذا القول لا يستقيم ؛ لأن المذكور في ترجمة النيسابوري أنه نشأ وعاش في نيسابور ، ولم تشتهر نيسابور بالتشيع ، بل عُرفت بأنها - كما قال ياقوت الحموي - : " معدن الفضلاء ، ومنبع العلماء" [٢١] ، وذكر جماعة من أفاضل أهل السنة .

وأما لمدحه الطوسي المشهور بالتشيّع فقد مدحه النيسابوري من جهة معرفته بعلوم الأوائل لا من جهة اعتقاده ، وهذا شأن المنصف ، كما يقول ابن كثير في البداية والنهاية عن الطوسي أنه " اشتغل في شبيبته ، وحصل علم الأوائل جيدا ، وصنف في علم الكلام ، وشرح الإشارات لابن سينا ، وقد ذكره بعض البغاددة فأثنى عليه وقال : (كان عاقلا فاضلا كريم

---

(١٧) روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات ٣ / ٩٨

(١٨) المرجع نفسه ٣ / ٩٨

(١٩) أعيان الشيعة ٢٣ / ١١٣ ، وانظر تفسير النيسابوري ١ / ١٦٠

(٢٠) البحر المحيط ٣ / ١٤

(٢١) معجم البلدان ٥ / ٣٣١

الأخلاق) ... إلا أنه اشتغل بعد ذلك ببعض شيوخه المعروفين بالاعتزال والتشيع ، ونزع فيه من ذلك عروق كثيرة حتى فسد اعتقاده " [٢٢] ، هكذا كان شأن ابن كثير حين ترجم له .

وأما ما أورده صاحب كتاب أعيان الشيعة ، وهو ما يفيد تشيعه ، وأن ما ورد في تفسيره ما هو إلا نوع من المداراة فغير مقبول ، حيث وردت الأحاديث والآثار في كتب السنة بدعاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - لآل بيته بما ذكره النيسابوري .[٢٣]

وأما ما ذكره أبو حيان في تفسيره فقد رده النيسابوري نفسه في تفسيره حيث يقول :

" وقد يتمسك بالآية نفاة القياس ، قالوا الأحكام الشرعية إن احتيج فيها إلى الدلائل اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس ، وإن اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل أحد يوجب التفرق والاختلاف ، وهو منهيّ عنه . وأجيب بأن الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصَة ؛ لعموم قوله تعالى (ولا تفرقوا) " [٢٤]

فالنيسابوري يعارض نفاة القياس مقررا أن القياس له أدلة مخصصة ، متى تحققت فالعمل بالقياس حينئذ واجب .

كما أن النيسابوري في تفسيره يرد كثيرا على الشيعة استدلالاتهم ، كما ورد في تفسير قوله تعالى : (**يأيها الذين من يرتد منكم عن دينه فسوف يأت الله بقوم يحبهم ويحبونه**) المائدة / ٥٤ يقول : " وقالت الشيعة : نزلت في عليّ - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - لما روي أنه - صلى الله عليه وسلم - دفع الراية إلى عليّ يوم خيبر ، وكان قد قال : (لأدفعنّ الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) ولأن ما بعد هذه الآية نازلة فيه باتفاق أكثر المفسرين " [٢٥]

والنيسابوري يرفض ذلك موردا رأي الفخر الرازي قائلا :" قال فخر الدين الرازي : هذه الآية من أدل الدلائل على فساد مذهب الإمامية ؛ لأن الذين اتفقوا على إمامة أبي بكر لو كانوا أنكروا نصا جليا على إمامة عليّ - رضي الله عنه - لكان كلهم مرتدين ، ثم لجاء الله بقوم تحاربهم ، وتردهم إلى الحق ، ولما لم يكن الأمر كذلك بل الأمر بالضد ، فإن فرقة الشيعة مقهورون أبدا .." [٢٦]

---

(٢٢) البداية والنهاية ١٣ / ٢٨٣

(٢٣) انظر في ذلك تفسيره لسورة الأحزاب الآية ٣٣

(٢٤) تفسير النيسابوري ٣ / ٢٦٦

(٢٥) تفسير النيسابوري ٤ / ٢٨٤

(٢٦) المصدر نفسه ، وانظر مفاتيح الغيب ٦ / ٥٥

ويتضح رأي النيسابوري - تجاه الشيعة - جليا بعد ذلك عند تفسيره للآية الكريمة :

(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) المائدة / ٥٥ إذ يقول بعد سرد آرائهم القائلة بأن المقصود بالآية هو (عليّ) واستدلالهم برواية تؤيد أن الإمام بعد رسول الله هو عليّ بن أبي طالب :

" إن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - كان أعرف بتفسير القرآن من هؤلاء الإمامية ، فلو كانت الآية دالة على إمامة عليّ لاحتج بها كما احتج بما ينقلون عنه أنه تمسك يوم الشورى بخبر الغدير وخبر المباهلة ، وجميع مناقبه وفضائله . وهب أنها دالة على إمامته ، لكنه ما كان نافذ التصرف في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلم يبق إلا أنه سيصير إماما ، ونحن نقول بموجبه ولكن بعد الشيوخ الثلاثة " [٢٧]

هكذا أعلن النيسابوري رأيه صراحة في إمامة عليّ - كرم الله وجهه - فهو يرى بوجوب إمامته ولكن بعد الشيوخ الثلاثة ، أَبَعْدَ هذا تبقى شبهة شك في أنه شيعيّ ؟

ثم إننا نختم القول في مذهبه بما قال هو نفسه في خاتمة تفسيره ، إذ يقول :

" وإني لم أَمْلِ في هذا الإملاء إلا على مذهب أهل السنة والجماعة ، فبينت أصولهم ووجوه استدلالاتهم بها ، وما ورد عليها من الاعتراضات والأجوبة عنها ، وأما في الفروع فذكرت استدلال كل طائفة بالآية على مذهبه من غير تعصب ومراء وجدال وهراء " [٢٨]

وهذا النص كاف في بيان عقيدته ، وقد بين الدكتور الذهبي ذلك في كتابه التفسير والمفسرون وبسط القول فيه ، كما أن صاحب روضات الجنات ذكر أنه من علماء العامة [٢٩] (أي أهل السنة) وأثنى عليه كثيرا ، وكلمة العامة صريحة عندهم على أنه ليس شيعيا ؛ لأن الشيعة يعتبرون أنفسهم هم الخاصة وبقية الناس هم العامة ، وإن كانوا علماء .

ويظهر أنه كان شافعيا ؛ لأنه يذكر المسائل الفقهية في مقابل الأحناف بقوله : (ولنا) ، ويرجح المسائل الشافعية ، كما أنه يأتي أولا برأي الشافعي ثم رأي المخالفين ، مما يدعم مذهبه الشافعي .

مصادره :

اعتمد النيسابوري في هذا التفسير على تفسيرين هامين هما (التفسير الكبير) المسمى بـ (مفاتيح الغيب) للإمام الرازي ، وتفسير (الكشاف) للإمام الزمخشري – رحمهما الله –

---

(٢٧) تفسير النيسابوري ٤ / ٢٨٦ - ٢٨٧

(٢٨) تفسير النيسابوري ١١ / ٥٨٩

(٢٩) روضات الجنات ٣ / ١٠٢

إضافة إلى ما جادت به قريحته من نكت غريبة وتأويلات محكمة عجيبة ، يقول في خاتمة تفسيره :

" وقد تضمن كتابي هذا حاصل التفسير الكبير الجامع لأكثر التفاسير ، وجُلّ كتاب الكشاف الذي رزق له القبول من الأساتذة الأطراف والأكناف ، واحتوى مع ذلك على النكت الغريبة ، والتأويلات المحكمة العجيبة ، أو وجدت متفرقة الأسباب ، أو مجموعة طويلة الذيول والأذناب " [٣٠]

وإن كان النيسابوري قد أكثر من النقل عن هذين التفسيرين إلا أنه لم يكن موردا لآرائهما دون تعقيب أو تفنيد ، فكثيرا ما عارض الزمخشرى والرازي في كثير من المسائل اللغوية [٣١] ، ثم يختم ذلك برأيه الخاص قائلا : (قلتُ) أو (والأصح) أو (والوجه) .

وفاته :

اختلف أصحاب التراجم في تاريخ وفاة النيسابوري ، فبينما ذهب صاحب (كشف الظنون) وصاحب (هدية العارفين) إلى أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ ، يذكر صاحب روضات الجنات بأنه كان رأس المائة التاسعة ، وأن وقت فراغه من مجلدات تفسيره كان في حدود سنة ٨٥٠ هـ ، وذكر صاحب أعيان الشيعة نحو هذا ، وقال صاحب الذريعة عند حديثه على مؤلفه (تعبير التحريرشرح على تحرير المجسطي) بأن الشارح هو مؤلف غرائب القرآن الشيخ نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، وقد ألف سنة ٨٢٨هـ [٣٢] .

وذكر عمر كحالة أنه كان حيا سنة ٧٢٨ هـ . [٣٣] ، كما ذكر كارل بروكلمان أن وفاته سنة ٧١٠ هـ [٣٤] ، وذكر الزركلي أنه توفي بعد ٨٥٠ هـ [٣٥]

ويرى محقق تفسير غرائب القرآن أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ وذلك لأن " صاحب الذريعة يناقض نفسه فهو يذكر في كتابه أن النيسابوري له كتاب (توضيح التذكرة) وهو

---

(٣٠) تفسير النيسابوري ١١ / ٥٨٧

(٣١) من المسائل اللغوية التي عارض فيها الزمخشري : ٣ / ٥٣١ ، ٤ / ٣١٢ ، ٤ / ٣١٧ – ٣١٨ ، ٧ / ١٧٤ ، ٨ / ٣٢٥ – ٣٢٦ ، ٩ / ٢٧٩ ، ١١ / ١٨٣ ، ١١ / ٣٥٥ – ٣٥٦

ومن المسائل التي عارض فيها الرازي : ٤ / ٣٣٠ – ٣٢٩ ، ٥ / ٣٥٥ ، ٧ / ١٦٨ ، ١١ / ٣٠٩

(٣٢) الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٤ / ٢٠٦

(٣٣) معجم المؤلفين ٣ / ٢٨١

(٣٤) تاريخ الأدب العربي ٥ / ٣٣٥

(٣٥) الأعلام ٢ / ٢١٦

شرح للتذكرة النصيرية في الهيئة ، وقد أهداه النيسابوري للمولى نظام الدين عليّ بن محمود اليزيدي ، وقد فرغ من تأليفه سنة ٧١١ هـ أي قبل كتاب غرائب القرآن بما يزيد على قرن من الزمان ، وهو أمر بعيد الاحتمال " [٣٦]

وترى محققة كتاب (شرح شافية ابن الحاجب) للنيسابوري أنه توفي أيضا سنة ٧٢٨ هـ استنادا لما ذكر في كتاب أعيان الشيعة أنه تتلمذ على يد أستاذه قطب الدين الشيرازي ، وقد توفي سنة ٧١١هـ ، وكان عالما بالعقليات مفسرا ، فتلمذته عليه تُصَحِّح أن وفاته كانت سنة ٧٢٨ هـ . [٣٧]

ويرى الباحث أن تاريخ وفاته كانت بعد عام ٧٢٩ هـ ، فذلك هو العام الذي فرغ فيه من تأليفه تفسيره غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، وقد صرح بذلك نظام النيسابوري نفسه عند تفسيره لسورة القدر ، وتعرضه لعلامات ليلة القدر إذ يقول :

" ومن الأمارات التي يحتمل اعتبارها (يقصد علامة على أن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان) أن الضعيف مؤلف الكتاب وصل إلى تفسير هذه السورة في السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وعشرين وسبعمائة من هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم - " [٣٨]

وهناك نص آخر أورده محقق الكتاب في آخر خاتمة المؤلف إذ يقول :

" وجد بآخر بعض النسخ ما نصه : علقه مؤلفه الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام الأعرج النيسابوري ببلاد الهند في دار مملكتها بدولة آباد في أوائل صفر سبعمائة وثلاثين من هجرة سيد الأولين والآخرين صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين "[٣٩]

وفي هذين النصين دلالة واضحة على أن وفاة النيسابوري كانت بعد عام ٧٣٠ هـ ، ولا أدري كيف غفل محقق الكتاب عن هذين النصين الهامين في دلالتهما على أن وفاة النيسابوري لم تكن في عام ٧٢٨ هـ ، كما أكد ذلك في مقدمة تحقيقه .

لذا لا يسعنا إلا القول بأنه من وفيات القرن الثامن الهجري ، أو على أقصى تقدير في النصف الأول من القرن الثامن الهجري ، دون تحديد عام بعينة لتلك الوفاة ، نظرا لاضطراب الأقوال حولها ، وبعدها عن الصواب ، ولكن ما يعني الباحث في هذا الأمر هو معرفة تاريخ

---

(٣٦) مقدمة محقق تفسير النيسابوري ١٩ بتحقيق د / حمزة النشرتي وآخرون .

(٣٧) شرح شافية ابن الحاجب ، دراسة وتحقيق ٣٥

(٣٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١١ / ٤٦٢

(٣٩) المصدر نفسه ١١ / ٥٩٢